كلية الآداب والعلوم الإنسانية
ⵜⴰⴽⵍⵉⵜ ⵏ ⵜⵎⴰⵡⴰⵙⵉⵏ ⴷ ⵜⵣⵔⴼⵜ ⵜⴰⵏⴰⴷⴰⵎⵜ ⴰⵎⴰⵏⵓⵙ
Faculte des Lettres et Sciences Humaines
شعبة الجغرافيا
مختبر "دينامية الأوساط الجافة الإعداد والتنمية الجهوية"

أعمال الندوة الوطنية

الديناميات الترابية بالمجال المغربي:
الأشكال والتحولات وآفاق التنمية

تنسيق:
محمد عسيوي - عبد القادر التايري

الديناميات الترابية بالمجال المغربي: الأشكال والتحولات وآفاق التنمية

يمثل هذا الكتاب عملًا جماعيًا يوثق لأبحاث ومداخلات خبراء ومتخصصين في الجغرافيا والتهيئة والتنمية الترابية خلال الندوة الوطنية حول "الديناميات الترابية بالمجال المغربي: الأشكال والتحولات وآفاق التنمية" المنظمة برحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة (18 و19 أكتوبر 2024). يجمع الكتاب مداخلات نظرية ودراسات حالات ترصد تفاعل العوامل الطبيعية والبشرية في تشكيل المجال المغربي، مع إبراز التفاوتات المجالية وتحوّلاتها، واقتراح مسالك عملية لحكامة ترابية وتنمية أكثر استدامة وإنصافًا.

بشكل عام، قدمت الأعمال الواردة بهذا الكتاب تحليلًا شاملًا للتحولات التي يشهدها المغرب على مستويات متعددة: البيئة الطبيعية والريف والمدينة والهجرة الدولية، بهدف فهم الديناميات الترابية ووضع تصورات لآفاق التنمية المستقبلية. وأبرز الخلاصات والتوصيات التي خلص إليها المشاركون في الندوة جاءت مختصرة كالتالي:

-اعتماد مقاربة ترابية تكاملية تُزاوج بين الإيكولوجي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي.
-إدماج التكيّف مع التغيّر المناخي وتدبير المخاطر في وثائق التعمير والتهيئة القروية.
-تقوية المدن المتوسطة والمراكز الصاعدة كقواعد لامتصاص الضغط الحضري وتقليص الفوارق.
-تحسين الحكامة المتعددة المستويات وتفعيل اللامركزية والتعاقد بين الدولة والجهات والجماعات.
-بناء منظومات معلومات ترابية مفتوحة (بيانات إحصائية مكانية) لدعم القرار الترابي.
-بلورة سياسة عمومية للهجرة والتنمية المجالية تُثمّن التحويلات والمهارات وتوجّه الاستثمارات إلى مشاريع منتِجة.

بهذا، يقدّم الكتاب رؤية شمولية لديناميات المجال المغربي، ويقترح مسارات عملية لانتقال تنموي ومُستدام يراعي خصوصيات الأوساط الطبيعية وتباين الحواضر والقرى ودور الهجرة في إعادة تشكيل الجغرافيا الاجتماعية والاقتصادية.

عنوان الكتاب: أعمال الندوة الوطنية حول موضوع : الديناميات الترابية بالمجال المغربي: الأشكال والتحولات و آفاق التنمية

تنسيق: محمد عسيوي وعبد القادر التايري

الناشر: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - وجدة

الرقم المعياري الدولي للكتاب (ISBN): 978-9954-689-77-6

سنة الإصدار: 2025

الآراء والتعليقات الواردة في المقالات تعكس وجهات نظر أصحابها فقط

يتميز المجال المغربي بتنوع أوساطه الطبيعية ومنظوماته البيئية: الساحلية والجبلية والصحراوية... وبحكم انتمائه إلى المجال المتوسطي فهو يعرف تنوعا بيولوجيا كبيرا يضم نحو 4700 نوع نباتي، و106 نوعا من الثدييات، و326 نوعا من الطيور، لكن هذا التنوع بات مهددا بسبب التطرف المناخي، فأكثر من نصف التراب الوطني يعاني من إشكالية التصحر وتراجع القدرة الإنتاجية للأرض؛ وتعاني المجالات المتضرسة من ظاهرة انجراف التربة وعدم استقرار السفوح بفعل التعرية المائية المواكبة لبعض الحالات الجوية الخاصة، ما يشكل تهديدا للمجالات الزراعية والبنيات التحتية (السدود، الطرق والمنشآت الحيوية...) على حد السواء. وتزداد هذه الأوضاع قتامة في الأوساط الطبيعية الأكثر هشاشة.

إن هذه التحولات التي تعرفها الأوساط الطبيعية لا تتم بمعزل عن الساكنة البشرية، فإذا كان الاستغلال غير المعقلن للموارد المتاحة –بما فيها الموارد المائية التي يوشك المغرب أن يصل فيها إلى عتبة الخصاص المائي (أقل من 500 م3/ الفرد/ السنة)- يعمق الإشكاليات التي تعاني منها المجالات الطبيعية، وما ويواكبها من تدهور للمشاهد الزراعية، وإهمال العمل الفلاحي، وارتفاع مؤشرات الفقر والهشاشة، وبالتبع إفراغ بعض المجالات الريفية من ساكنتها؛ فإن المبادرات الفردية (الاستثمار الخاص) والجماعية (منظمات الاقتصاد الاجتماعي)، فضلا عن مخططات الدولة، ساهمت فيإحداث تغييرات إيجابية في مجالات ريفية أخرى، ومن ثم أمسى المجال الريفي المغربي مجالا لتحولات متواصلة ومتسارعة أحيانا، تحت تأثير عوامل داخلية وخارجية.

وليست المجالات الحضرية بمنأى عن مختلف مظاهر التحول، الإيجابية منها والسلبية، فالحركات الهجروية الريفية الوافدة ساهمت في خلق مجموعة من الإشكاليات الحضرية، أمكن معها الحديث عن أزمة المدينة المغربية، بدءا بمشاكل التعمير والبيئة الحضرية، وليس انتهاء بضعف القاعدة الاقتصادية لأغلب المدن، وهشاشة الأوضاع الاجتماعية لساكنيها، والتفاوت في توزيع المرافق العمومية وخدمات القرب، وإشكالية العقار...وبالمقابل شهدت الأوساط الحضرية مجموعة من التدخلات، حيث أطلقت العديد من البرامج الوطنية والمبادرات، من قبيل برنامج إعادة الاعتبار الحضري (2003)، وبرنامج مدن بدون صفيح (2004)، وبرنامج المدن الجديدة (2004)، وبرنامج التأهيل الحضري (2005)، ومشاريع سياسة المدينة (2012)، وتمت بالموازاة مع ذلك مراجعة الإطار القانوني المنظم للتعمير؛ وهي تدابير أصبحت آثارها ملموسة في العديد من المدن، التي يعول عليها اليوم لقيادة عملية التنمية محليا، جهويا ووطنيا.

إن هذه الدينامية المستمرة التي يعرفها المجال المغربي في شموليته باتت تفرض نفسها على مجتمع الجغرافيين، والذين راكموا بالفعل رصيدا معتبرا من الأبحاث في مختلف المجالات الوطنية، مع تنوع شديد على مستوى المواضيع المدروسة، وتطور ملحوظ على صعيد التقنيات وأدوات التحليل المجالي؛ وهي حصيلة من شأنها أن تدعم مختلف القرارات المرتبطة بإعداد التراب والتهيئة المجالية، في علاقتها بالتنمية الوطنية الشاملة. ومن ثم سعت هذه الندوة إلى إبراز هذه الحصيلة المتميزة، وتقديم نتائجها من خلال نماذج منتقاة من مختلف الأوساط والمجالات الوطنية. وقد تنوعت جل المشاركات على المحاور الآتية:

- **المحور الأول**: يتناول الدينامية الحالية للأوساط الطبيعية بالمغرب عموما، وبالمجالات الهشة خصوصا، من أجل رصد التهديدات التي يواجهها المجال المغربي في مختلف بيئاته الساحلية والجبلية والصحراوية والسهوبية، وإبراز آثارها الآنية والمستقبلية على الإنسان والمجال، مع تقييم الجهود المبذولة في مجال التهيئة وإعداد المجالات العطوبة، وفي مجال الحفاظ على الموارد الطبيعية وتنميتها، وتقديم اقتراحات عملية تساعد على الحد من الاختلالات البيئية والمجالية.
- **المحور الثاني**: يقترح مناقشة مختلف جوانب الديناميات والتحولات التي يشهدها المجال الريفي الوطني، بدءا بالدينامية الديمغرافية لساكنة الأرياف التي تنحو نحو التراجع عموما (إفراغ الأرياف)، وتطور مؤشرات التنمية البشرية فيها في علاقتها بالتحسن الملموس في مستويات تجهيز الأرياف (برنامج الكهربة القروية، برنامج فك العزلة عن الأرياف...)؛ وليس انتهاء بتحولات الاقتصاد الريفي وأنماط استغلال المجال، سواء في منحاها الإيجابي أو السلبي (تراجع الرعي التقليدي لفائدة الرعي الكثيف، توسيع المجالات الزراعية المسقية أو تراجعها، توسع أراضي البوار وإهمال العمل الفلاحي، ظهور الاستغلاليات العصرية وتحول نمط الإنتاج من المعيشي إلى التسويقي...)، مع الكشف عن مختلف العوامل الكامنة وراء هذه التحولات، وتوقع آفاقها المستقبلية؛ فضلا عن تقييم السياسات الوطنية تجاه العالم الريفي.
- **المحور الثالث**: يخوض في دينامية المجالات الحضرية الوطنية بمختلف أصنافها (المدن العتيقة والجديدة، المدن الصغرى والمتوسطة والكبيرة...) بهدف الوقوف عند مظاهر الاختلالات التي تعيشها المدن المغربية بيئيا وعمرانيا اقتصاديا واجتماعيا، ... مع تقييم البرامج والسياسات العمومية المرتبطة بتأهيل المجالات الحضرية، لإظهار المكاسب التي تحققت، والمعيقات التي

اعترضت تنفيذها؛ دون إغفال تقييم تجربة المراكز الصاعدة كاستراتيجية جديدة تستهدف تقريب النموذج الحضري من الساكنة الريفية، وتحسين الولوج إلى الخدمات الأساسية، من أجل التخفيف من حدة الهجرة الريفية وآثارها على الأوساط الحضرية.

- **المحور الرابع**: يستهدف إظهار مساهمة الهجرة الخارجية في مختلف التحولات التي يشهدها المجالان الريفي والحضري معا وهي تحولات لا تخطئها العين في مختلف الأحواض الهجرية الوطنية قديمها وحديثها، وإن كانت تتم بوتائر متباينة؛ كما تتنوع مجالات هذه التحولات بين ما هو اقتصادي واجتماعي وثقافي... مع التذكير بأن الديناميات المرتبطة بالهجرة على الصعيد الوطني، يمكن طرحها من زاويتين: الأولى باعتبار المغرب بلد إرسال للهجرة منذ الفترة الاستعمارية، والثانية تأخذ بعين الاعتبار تحول المغرب من بلد للعبور إلى بلد استقبال للهجرة الوافدة خصوصا من إفريقيا.

اللجنة العلمية:

عزي هرو، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة
عبد الحق الصدق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة
عبد القادر اسباعي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة
محمد غزال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة
خديجة بنربيعة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة
محمد صابري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة
هشام لصكع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة
محمد عسيوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس - فاس
عمر موادیلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة
عبد القادر التايري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة
توفيق بيو، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة
العربي جبار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس - فاس
يوسف بليط، الكلية المتعددة التخصصات - الناظور
بلال بوجي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق - الدار البيضاء
ميمون مهداوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال

اللجنة المنظمة

عمر موادیلي - محمد عسيوي - عبد القادر التايري - عزي هرو- عبد الحق الصدق- عبد القادر اسباعي - محمد غزال - خديجة بنربيعة - محمد صابري - هشام لصكع - توفيق بيو - جواد بابا- زكريا المحجوبي - أحمد أمغار - عبد العزيز كربوب- بنيونس بنعائشة – حكيم زروق- محمد أزياش - محمد لاخضري - عبد الكريم سومع - عبد الرحيم بليل – عبد العظيم جبوري - رشيدة بشيري - أوبديل عماد -كمال الخالدي- محمد العسال - فاطمة الزهراء إبراهيمي- حسناء الحمري - عبد القادر شيخي - نور الدين بوشنافة - كمال دربوشي - خاليد حدوتي - ميمون بحكان - خالد قاسو – رشيد الوالي.

لجنة القراءة

- العربي جبار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس – فاس.
- بلال بوجي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق - الدار البيضاء.
- بنيونس بنعائشة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة.
- توفيق بيو،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس – فاس.
- عبد الحفيظ حميمي، الكلية المتعددة التخصصات، تازة.
- عبد العزيز البويحياوي،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس – فاس.
- عبد القادر التايري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة
- عبد النور صديق، المدرسة العليا للأساتذة، جامعة محمد الخامس، الرباط.
- عبد الواحد السعيدي، الكلية المتعددة التخصصات، تازة.
- عمر موادیلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة
- فريد الرحموني ، الكلية المتعددة التخصصات، تازة.
- محمد عسيوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة.
- ميمون مهداوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال.
- نور الدين الحايك، المدرسة العليا للأساتذة، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان.
- هشام لصكع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة.
- يوسف بليط، الكلية المتعددة التخصصات – الناظور.

الآراء والتعليقات الواردة في المقالات تعكس وجهات نظر أصحابها فقط

الـــفـــهـــــرس

دراسة في مظاهر التعرية وتصنيف الأوساط حسب درجة إستقرارها : حالة حوض المرابيح بالغرب الأعلى الأوسط

حمزة لغبيسي، نادية مشوري _____ 8

ثنائية الفلاحة التسويقية الفلاحة المعيشية محرك مستمر للتحولات بالأرياف المجاورة للدار البيضاء

بوعبيد زائرة، محمد صامتي _____ 23

تدهور الأراضي بالهوامش العليا لسد سيد محمد بن عبد الله: حالة حوض كرو الأوسط

وسعيد عبد الكبير، نادية مشوري _____ 33

المجالات السقوية بالهوامش الشمالية للهضاب العليا (المغرب الشرقي): الدينامية والآليات ـ حالة دائرة عين بني مطهر-

عبد العزيز كربوب، محمد غزال، عبد اللطيف أعميرو _____ 45

الموارد المائية بمدينة تازة بين تعدد الإكراهات البيئة وتنوع آفاق التدبير المستدام

بوعيش حسين والعمراني عبد الواحد _____ 56

الديناميات الترابية واستراتيجيات التدبير: المدينة القديمة للجديدة نموذجا

الدحماني فاطمة الزهراء الغالي لعمومري الزاوي مصطفى _____ 68

مشاكل التراث الطبيعي بإقليم أزيلال ووسائل الحفاظ عليه

بويزكارن هشام، أحمد أقدار _____ 80

الماء الفلاحي والتحولات المجالية في المناطق شبه الجافة: حالة السفوح والهوامش الجنوبية لجبال بني يزناسن في المغرب الشرقي

الموساوي احميدة، عـزي هـرو _____ 91

أهمية السياحة البيئية والثقافية في تأهيل المجالات الجبلية: حالة إقليم تاوريرت بجهة الشرق

لاخضري محمد، ازياش محمد _____ 105

البعد الاقتصادي والتنموي للهجرة الدولية بالمركز القروي تاكزيرت (إقليم بني ملال)

د. كريمة حادق، ذ. عبد القادر التايري، ذ. محسن إدالي _____ 113

الوظائف الاقتصادية والخدماتية للمراكز الحضرية الصاعدة:حالة واد أمليل (إقليم تازة)

محمد العسال، عبد اللطيف اعميرو، عبد القادر التايري _____ 123

دينامية النفوذ الوظيفي لمراكز إقليم إفران ودورها في إعادة تشكيل المجال

يوسف عاشي، عمرو إديل، عبد السلام بوهلال _____ 133

الهجرات والديناميات بمدينة طانطان: سياق التحولات السوسيومجالية

مصطفى بوعمود _____ 144

استعمال نظم المعلومات الجغرافية في تقييم آثار توسع الأنشطة غير الفلاحية على المجال الزراعي بالدائرة السقوية بوعرك (إقليم الناظور)

المرسي ياسين ؛ صديق عبد النور _____ 155

التعرية المائية بالأحواض المائية الجبلية والآثار البيئية والاقتصادية (حوض واد شقور-رافد واد مرتيل- أنموذجا)

خالد بوصابون محمد علي بلمين_____171

التنمية الترابية بين تعدد الاشكاليات واستراتيجيات تسويق الموارد بجماعات افران وبن صميم وتيزكيت باقليم افران

فاطمة الزهراء جناتي ادريسي _____183

التحولات المجالية والبيئية بمدينة سلا بين الديناميات وآليات التدبير

العمشاكي قاسم، محسن بطشي، نادية تهامي، عزيزة الوردي، محسن شامخ _____192

الدينامية الحضرية والتنمية المجالية بمدينة إيموزار كندر

محمد اسويس، ماجدة صواب _____204

الدينامية الترابية وإعادة تشكيل المجال بضاحية مدينة فاس حالة مركز عين الشقف

صباح بوصفيحة، عبد الإلاه دغباش _____213

التشخيص الترابي التشاركي

عبد الواحد الابراهيمي ، حميد بنسي _____223

الأرياف الحديثة لزراعة الكيف بين الدينامية السوسيو-مجالية وتدهور الموارد الطبيعية " حالة جماعة اخلالفة بإقليم تاونات "

هيني محمد، الرفيق محمد _____236

تمثلات الساكنة حول المخاطر الطبيعية على الطرق المعبدة، حالة الشمال الشرقي للمغرب

أمغار أحمد، اسباعي عبد القادر، بن ربيعة خديجة _____246

دينامية قطاع الزيتون بالمجالات الهشة: الإكراهات والحلول (حالة سهل الحوز الشرقي)

فاطمة الزهراء بوعلالة _____257

دينامية بنية المجال الزراعي بالواحات المغربية من الإستغلاليات المعيشية إلى المشارات الربحية: العوامل و الآثار - حالة واحة فجيج (الجنوب الشرقي) –

بابا جواد الحرادجي عبد الرحمان بايباح عبد الرزاق اسباعي عبد القادر _____267

دور الوثائق التربوية الرسمية في التوعية بآثار التهديدات التي تواجه المجال الجغرافي المغربي وأهم المجهودات المبذولة للوقاية منها: دراسة تحليلية للوثائق التربوية الرسمية الخاصة بمادة الاجتماعيات بالسلك الثانوي الإعدادي نموذجا

محمد عبد اللوي _____278

دينامية المراكز القروية والحضرية الناشئة وإكراهات الاعداد والتهيئة بضواحي مدينة تطوان

نورالدين الحايك _____288

دور الذكاء الاصطناعي في تقييم التحولات العمرانية للمدن المتوسطة -نموذج مدينة آزرو -

رقية بنداوود، مصطفى كنكورة ، محمد المولودي _____298

تقييم تنفيذ أدوات التخطيط الحضري ببركان الكبير: المكاسب والمعيقات حالة تصاميم التهيئة الحضرية

عماد وبديل، عبد القادر التايري_____310

آليات إنتاج المجال الحضري بالمدن المغربية

حميد بوكرين _____ 318

المراكز الصاعدة بسايس مكناس بين الهشاشة البيئية وتحديات التنمية المحلية: دراسة حالة مركزي المهاية وواد الجديدة

البورقادي هدى، الزاوي مصطفى _____ 329

آثار التوسع الحضري في المرافق العمومية بمدينة تاوريرت حالة المساحات الخضراء

اعميرو عبد اللطيف، كربوب عبد العزيز، العسال محمد، بن ربيعة خديجة _____ 340

التحولات الحضرية في الأقاليم الجنوبية العيون نموذجا

لحبيبة الشراقة، المصطفى ندراوي _____ 346

الإجهاد المائي بمنطقة الشاوية السفلى بين تعدد عوامل التدهور وآفاق التدبير المستدام

أيوب هجهوجي عبد الواحد العمراني عمر العروصي _____ 353

تزايد حدة استنزاف الموارد المائية في ظل تنامي التكثيف الزراعي في الأطلس المتوسط الأوسط حالة حوض تيكريكرة وعالية كيكو.

أحمد المغاري، عبد الله الحجوي، إبراهيم الانصاري _____ 365

دينامية الانظمة الزراعية وتراجع الموارد المائية بإقليم سيدي بنور حالة جماعة أولاد سبيطة

بشرى حساني، عبد الاله صباحي _____ 378

اشكال الضغط على الموارد المائية بحوض كلميم واد نون

مولاي هشام ازكان، د. جمال الكركوري، قاسم النعايمي، محمد اكرامز _____ 384

انعكاسات التغايرية المناخية على الزراعات المسقية بحوض ملوية السفلى من خلال حالة سهل بوعرك

رفيقة بوعبداللوي، فتيحة عدوي، خديجة بوهريم، محمد غزال _____ 396

دينامية الفيضانات، العوامل والانعكاسات والتدابير بحوض ملوية الوسطى حالة جماعة العرجان

نويبي عكاشة، بطشي محسن _____ 405

المقالات بالفرنسية

Renouveau rural et migration de retour : impacts socioéconomiques et paysagers dans la commune d'Oulad Daoud, Nord-est du Maroc

Khalid HADDOUTI _____ 416

L'intégration du tourisme dans la structure économique de la province d'Ifrane : Un levier de transformation

Lamiae Bezzari _____ 428

دينامية الانظمة الزراعية وتراجع الموارد المائية بإقليم سيدي بنورحالة جماعة أولاد سبيطة

بشرى حساني[1]، عبد الاله صباحي[2]

الملخص

أدى توالي سنوات الجفاف التي ازدادت حدتها خلال العقود الاخيرة إلى تراجع الموارد المائية بشكل مثير للقلق، مما دفع الدولة إلى اتخاذ العديد من الاجراءات لتدبير ندرة المياه وتجاوز الوضعية الراهنة بأقل الاضرار. وفي هذا السياق عمد المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بدكالة باعتباره ذراعا من الاذرع التنفيذية للوزارة الوصية إلى تنزيل تدابير صارمة بغية تقنين استعمال مياه السقي وحث الفلاحين بالمنطقة على تجنب ممارسة المزروعات التي تتطلب دورتها الإنباتية كميات كبيرة من المياه، بل وعملت الدولة خلال الموسم الفلاحي 2021-2022 على منع السقي بشتى انواعه، وهو ما شكل منعطفا حاسما في مسلسل تحول النظم الزراعية، وفي إحداث تغيرات جذرية في اختيارات الفلاحين الزراعية.

نسعى من خلال هذا المقال إلى الإجابة عن السؤال الإشكالي الآتي: ما مدى تأثير الجفاف وتراجع الموارد المائية على الأنظمة الزراعية بجماعة أولاد سبيطة؟، وسنعتمد في الاجابة عن هذه الاشكالية على نتائج العمل الميداني الذي انجز سنة 2022، والذي هم استجواب 128 حيازة فلاحية بجماعة أولاد سبيطة بإقليم سيدي بنور، وكذا على التقارير والاحصائيات الصادرة عن مكتب الاستثمار الفلاحي.

الكلمات المفاتيح: الجفاف، تراجع الموارد المائية، اختيارات الفلاحين، السقي، أولاد سبيطة، سيدي بنور.

Dynamique des systèmes agricoles et recul des ressources en eau dans la province de Sidi Bennour : cas de la commune d'Oulad Sbita

Bouchra Hessani, sabbahi.abdelilah

Résumé

La succession des années de sécheresse, dont la gravité s'est accrue au cours des dernières décennies, a entraîné un recul préoccupant des ressources en eau. Cette situation a poussé l'État à prendre de nombreuses mesures afin de gérer la rareté de l'eau et de surmonter la conjoncture actuelle avec le moins de dommages possible. Dans ce cadre, l'Office Régional de Mise en Valeur Agricole de Doukkala a mis en place des mesures strictes visant à réglementer l'utilisation des eaux d'irrigation et à inciter les agriculteurs de la région à éviter les cultures nécessitant d'importantes quantités d'eau durant leur cycle végétatif. De plus, au cours de la campagne agricole 2021-2022, l'État a interdit l'irrigation sous toutes ses formes, ce qui a constitué un tournant décisif dans le processus de transformation des systèmes agricoles et a provoqué des changements profonds dans les choix des cultures par les agriculteurs.

À travers cet article, nous cherchons à répondre à la question suivante : dans quelle mesure la sécheresse et la diminution des ressources en eau ont-elles impacté les systèmes agricoles de la commune d'Oulad Sbita ? Pour y répondre, nous nous baserons sur les résultats d'une enquête de terrain réalisée en 2022, ayant porté sur 128 exploitations agricoles dans la commune d'Oulad Sbita, province de Sidi Bennour, ainsi que sur les rapports et statistiques publiés par l'Office Régional de Mise en Valeur Agricole.

Mots-clés : sécheresse, recul des ressources en eau, choix des agriculteurs, irrigation, Oulad Sbita, Sidi Bennour.

[1] أستاذة بالكلية متعددة التخصصات خريبكة b.hessani@usms.ma

[2] باحث في الجغرافيا prof.sabbahi.abdelilah@gmail.com

1.مقدمة

تأثرت السياسة الفلاحية المعتمدة بالمغرب بمجموعة من الإكراهات الطبيعية والعقارية والديمغرافية إلى جانب طبيعة الاختيارات والتوجهات الاقتصادية التي تبنتها الدولة، حيث جعلت هذه الأخيرة من بين أولى أولوياتها إنجاز المشاريع الهيدروفلاحية الكبرى والمتوسطة في المناطق التي تتوفر على مؤهلات تساعد على ذلك، وتعد دكالة من المناطق التي استفادت من سياسة الإعداد الهيدروفلاحي التي انتهجتها الدولة عقب الحصول على الاستقلال، ليتغير المشهد الزراعي برمته بالمنطقة، وتتحول معه انتظارات الفلاحين، الشيء الذي انعكس على تنوع الإنتاج وعلى انتشار الزراعات التسويقية، غير أن توالي سنوات الجفاف وعدم انتظام التساقطات المطرية، وندرة الموارد المائية سواء منها الباطنية أو السطحية، إضافة إلى تراجع مياه السقي نتيجة تراجع حقينة السدود، دفع الجهات الوصية إلى اتخاذ العديد من الإجراءات للحد من الإجهاد المائي، من أبرزها: توقف الدولة عن تزويد المجال بمياه السقي، وحث الفلاحين على تجنب ممارسة المزروعات التي تتطلب كميات مهمة من المياه، وهو ما سيؤثر بلا شك على اختيارات الفلاحين الزراعية.

في هذا الإطار يأتي اختيارنا لموضوع دينامية الانظمة الزراعية وتراجع الموارد المائية بإقليم سيدي بنور حالة جماعة أولاد سبيطة، باعتبارها من المناطق التي استفادت من سياسة الإعداد الهيدروفلاحي وتأثرت بشكل كبير بالإجهاد المائي الذي تعرفه بلادنا.

نسعى من خلال هذه العمل إلى رصد طبيعة التحولات التي حدثت على النظام الزراعي بجماعة أولاد سبيطة وعلاقتها بتراجع الموارد المائية، وذلك من خلال الإجابة عن السؤال الإشكالي الآتي: كيف انعكس توالي سنوات الجفاف وتراجع الموارد المائية على اختيارات الفلاحين الزراعية؟ لإجابة على هذه الإشكالية ننطلق من الفرضيات التالية:

الفرضية الأولى: يساهم توالي سنوات الجفاف وتراجع الموارد المائية في تحول الأنظمة الفلاحية بمجال الدراسة.

فالفرضية الثانية: أثر توقف إمداد جماعة أولاد سبيطة بمياه السقي على اختيارات الفلاحين الزراعية.

وسنعتمد في معالجة الموضوع على نتائج العمل الميداني الذي انجز سنة 2022 والذي شمل 128 حيازة فلاحية، أي ما يعادل 5% من مجموع الحيازات الفلاحية، اضافة الى مجموعة من التقارير والإحصائيات الصادرة عن مكتب الاستثمار الفلاحي.

تقديم مجال الدراسة

تنتمي جماعة أولاد سبيطة من الناحية الطبيعية لسهل دكالة، وإداريا لإقليم سيدي بنور جهة الدار البيضاء- سطات، وتمتد على مساحة 9545هكتار، وتقدر مساحتها المسقية بحوالي 5645هـ ، أي ما يعادل 59,2% من المساحة الإجمالية للجماعة، وذلك بالاعتماد على السقي الانجذابي في إطار سياسة الإعداد الهيدروفلاحي التي عرفتها المنطقة. (Commune territoriale d'Od Sbaita2019).

الخريطة رقم 1: توطين مجال الدراسة

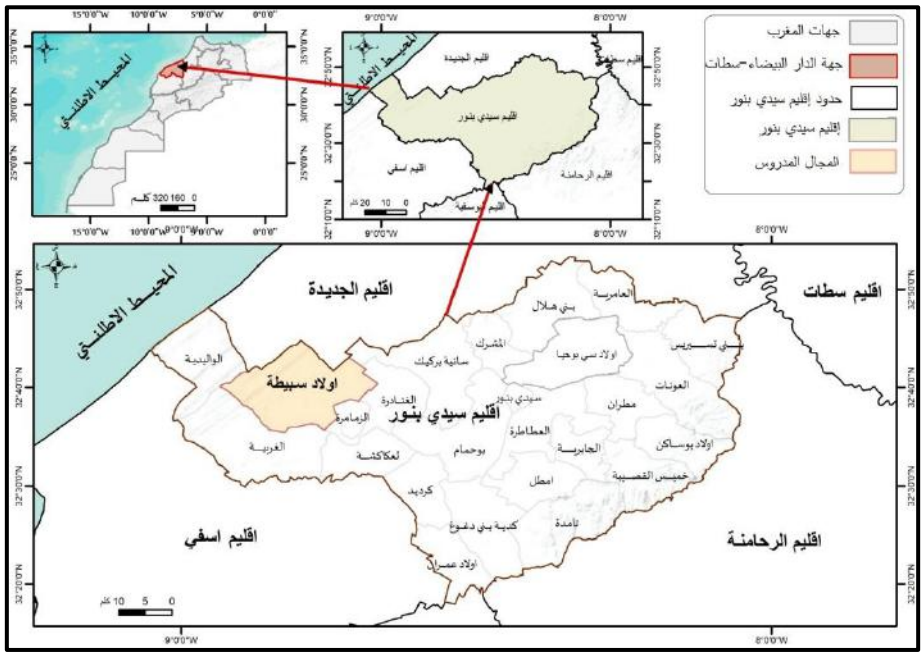

المصدر: المركز الجهوي للاستثمار الفلاحي دكالة + MNT 30 متر

2.نتائج الدراسة

1.2. يواجه النشاط الفلاحي العديد من الإكراهات الطبيعية

1.1.2. يتلقى المجال المدروس تساقطات تتميز بعدم الانتظام والتركز

أ- تساقطات ضعيفة وغير منتظمة

يبلغ معدل كمية التساقطات بمجال الدراسة حوالي 328 ملم، غير أنها تتسم بعدم التجانس، فالتساقطات السنوية القصوى تعرف تباينا بشكل ملحوظ، مما يجعل الفرق بين السنوات المطيرة والسنوات الجافة كبيرا، حيث أن أدنى كمية سنوية سجلت بمحطة خميس الزمامرة خلال الفترة المتراوحة ما بين 1987و 2020، نزلت إلى 184,3ملم، بينما نجد أقصى كمية مسجلة في الفترة نفسها وصلت إلى 507.3 (مبيان رقم1)، ليتبين من خلال تحليل التطور البيسنوي للتساقطات بالمجال المدروس أن هناك نزعة عامة نحو الانخفاض، الشيء الذي يدل على أن المناخ أصبح أكثر جفافا مما كان عليه في بداية القرن 20م(عبد العزيز باحو وآخرون،2014،ص21).

كما تتصف التساقطات الشهرية بعدم الانتظام، بحيث يتركز أهمها في فصلي الخريف والربيع، في حين يمثل فصل الصيف(يونيو، يوليوز، غشت) الفصل الأكثر جفافا، إذ تنعدم فيه التساقطات. وتتميز التساقطات الشهرية بدورها بالتغايرية من سنة لأخرى، فالأشهر التي تشهد أعلى معدلات من التساقطات المطرية قد تغيب فيها هذه الأخيرة بشكل كلي خلال بعض السنوات، في مقابل ذلك تم تسجيل زخات مطرية في شهر يوليوز الجاف في سنوات اخرى.

مبيان رقم 1: التوزيع السنوي للتساقطات بمحطة الزمامرة ما بين1981-2020

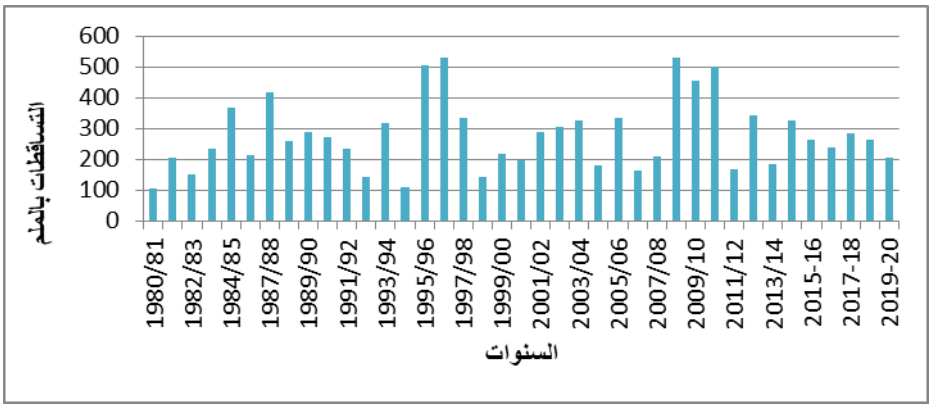

المصدر: المركز الجهوي للاستثمار الفلاحي لدكالة 2021

ب – معدلات حرارة تتسم بالتباين:

يسجل مجال الدراسة معدلات حرارية معتدلة تصل في المتوسط السنوي إلى 17,3°،غير أن هذا الوضع المناخي المعتدل لا يسود طيلة السنة فهناك تباينات بيشهرية، إذ يمكن التمييز بين أشهر تنزل فيها درجات الحرارة عن المتوسط السنوي ابتداء من دجنبر إلى غاية شهر أبريل، وأخرى تفوق فيها متوسطات الحرارة السنوية ولاسيما بين شهري يونيو وغشت، اضافة الى ان المنطقة تشهد اختلافا في المدى الحراري اليومي.

وعموما، فمناخ المنطقة لا يسمح بتكثيف فلاحي دون اللجوء للسقي، فرغبة الفلاحين في إقامة زراعات تسويقية وخاصة زراعات الخضروات يصطدم بمحدودية الموارد الطبيعية، مما دفع الدولة إلى إقامة تجهيزات هيدروفلاحية همت جزءا مهما من الإقليم، كما ساهمت المبادرات الفريدة في التخفيف من آثار المناخ عبر حفر الآبار واستغلال الضايات وحفر المطافي(خاليد الحاضري،2014،ص71).

2.1.2. تتميز جماعة أولاد سبيطة بندرة الموارد المائية السطحية

يتميز مجال الدراسة بندرة وضعف الموارد المائية السطحية، فأغلب الأودية بالمجال موسمية تجري في الغالب على شكل امتطاحات عنيفة، كما تشكل الفرشة الباطنية تحديا كبيرا نتيجة صعوبة الاستغلال، حيث يتجاوز معدل عمقها 60 مترا(Commune territoriale d'Od Sbaita2019)، بالإضافة إلى تدهور جودة المياه بسبب الاستعمال المكثف للأسمدة والتركز الكبير لعنصر النترات. ورغم ذلك، شكل الماء أحد أهم أسرار توفير أسباب استقرار الانسان وقاعدة قوية لقيام نشاط فلاحي متنوع ينتقل تدريجيا من دائرة الكفاف إلى أفق التسويق.

2.2.ساهم الإعداد الهيدروفلاحي في تحديث وتكثيف الإنتاج الزراعي

1.2.2. شهدت جماعة أولاد سبيطة تطورا وتنوعا في الإنتاج الزراعي

شكلت الفلاحة بمجال الدراسة عماد الاقتصاد المحلي، وكان الانتاج يرتكز أساسا على زراعة الحبوب وتربية الماشية، غير أن هاجس تحقيق الاكتفاء الذاتي، جعل الدولة تولي أهمية بالغة لإنجاز مشاريع هيدروفلاحية كبرى ومتوسطة في أفق تحقيق طموح سقي المليون هكتار، وعلى هذا الاساس حظيت منطقة دكالة بنصيبها من سياسة التهيئة الهيدروفلاحية ومن مختلف تدخلات الوزارة المعنية عبر آليات التأطير والاستثمار. ويعد مجال الدراسة من المناطق التي استفادت من إدخال السقي ومن عملية الإعداد الهيدروفلاحي، إذ تنتمي الجماعة إلى قطاع المسقي للزمامرة الذي تم تجهيز أول جزئ منه سنة 1977م ولم يتم سقيه إلا سنة 1980م، حيث قسم إلى أربع قطاعات سقوية صغيرة بمساحة تناهز 16000ه، تسقى بأسلوب الرش عبر شبكة مطمورة مزودة بالمياه انطلاقا من القناة الرئيسية السفلى أو من قناة موصلة، إضافة إلى توظف تقنية السقي الانجذابي؛ الشيء الذي ساهم في تنوع الانتاج مع تبني المزروعات التسويقية على الرغم من أن زراعة الحبوب مازالت تحتل مكانة هامة في النظام الزراعي، إذ تمتد على مساحة تناهز 5898ه غير أنها متجهة نحو التراجع للتوسع المضطرد للمساحات المسقية، ورغبة الفلاحين في تكثيف إنتاجهم بتطوير المزروعات العلفية التي شهدت تطورا واضحا، حيث تمتد على مساحة 3355ه،(مكتب الاستثمار الفلاحي بالجديدة،2021)، وتتميز بالتنوع لتضم: زراعة البرسيم، والفصة، الخرطال، الذرة، ويفسر تطور زراعة الأعلاف بمجموعة من التدابير التي اتخذتها الدولة لتوسيع المزروعات العلفية، وذلك من خلال تقديم منح ومساعدات للفلاحين من أجل إدماجها ضمن التناوب الزراعي، إضافة إلى ارتفاع عدد رؤوس الأبقار الحلوب التي تزود تعاونيات الحليب بهاته المادة الحيوية. كما شهدت زراعة الخضروات تطورا واضحا بعد إدخال السقي بالمنطقة، الا انها لم تأخذ حيزا مهما بالمقارنة مع الزراعات العلفية، إذ تمتد على مساحة3661ه، غير أن المساحة المخصصة لها تشهد تباينا واختلافا من سنة لأخرى، وتجدر الإشارة إلى أن المزروعات الخضرية الربيعية والصيفية تحظى بأهمية كبيرة بالمقارنة مع الخضر الشتوية. ويتميز إنتاجها بالتنوع من أبرزها: الطماطم، الجزر، اللفت، البطاطس، الفلفل، الخيار.

صورة رقم1: زراعة اللفت بالجماعة التر ابية اولاد سبيطة

الإحداثيات الجغرافية: خط طول: 4932 °W8 خط العرض N32°4041 بتاريخ 19 غشت 2022

وعموما، فإن ادخال السقي بالمجال المدروس ساهم في تنوع الانتاج والاتجاه نحو المزروعات التسويقية، غير أنه يشهد تراجعا مهما بفعل تظافر العديد من العوامل من أبرزها توقف الدولة عن تزويد المجال بمياه السقي وضعف المداخيل الفلاحية خاصة أمام تقليص الدعم المقدم للفلاحين.

2.2.2.ساهم التكثيف الفلاحي في تحفيز الفلاحين على التخلي عن ظاهرة إراحة الأرض

ساهمت رغبة الفلاحين في الرفع من الانتاج والإنتاجية، وما رافقها من استعمال مكثف للمدخلات الفلاحية في إحداث تحولات في استعمال التربة بالمجال المدروس، فمن خلال الاستقصاء الميداني تبين أن جل الحيازات تعمد إلى تكثيف الانتاج بدورة زراعية: حبوب – مزروعات علفية.

كما أظهرت نتائج البحث الميداني تراجع ظاهرة إراحة الأرض، فقد عبر جميع ارباب الاستغلاليات التي شملها البحث الميداني، عن عدم ادراجهم للإراحة ضمن الدورة الزراعية.

3.أثرت التغايرية المطرية على اختيارات الفلاحين بجماعة أولاد سبيطة

1.3.تراجع مهم لزراعة الخضروات بإقليم سيدي بنور

لقد أثر توالي سنوات الجفاف على اختيارات الفلاحين الزراعية، فأمام تراجع الموارد المائية عمد المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بدكالة إلى تقنين استعمال مياه السقي، وتوعية الفلاحين بضرورة تجنب ممارسة المزروعات التي تتطلب كميات كبيرة من المياه، بل وعملت الدولة خلال الموسم الفلاحي 2021م-2022م على منع السقي الشيء الذي شكل منعطفا في مسلسل تحول النظام الزراعي بالمنطقة، إذ تبين من خلال البحث الميداني التراجع المهم في المساحة المخصصة لزراعة الخضروات، اذ باتت لا تمثل سوى 0,9% من اختيارات الفلاحين، وأضحت الدورة الزراعية تتألف أساسا من الحبوب والإعلاف، فقد أظهرت نتائج البحث الميداني عن اختيار حوالي 96,7% من الفلاحين لزراعة الحبوب، حيث اكد 97,7% من الفلاحين اختياراهم لزراعة القمح الطري في حين بلغت نسبة الممارسين منهم لزراعة القمح الصلب 78,1%، في مقابل ذلك أبانت نتائج البحث الميداني عن اختيار 91,4% من الفلاحين لزراعة الأعلاف، وتفسر هاته النسبة بالانتشار الواسع لتربية الماشية وأهمية رؤوس الأبقار خاصة الحلوب منها التي تربى بطريقة مغلالة، والتي يعتنى بتغذيتها وصحتها من أجل الاستفادة من ألبانها.

2.3. أثر تراجع الموارد المائية على التقنيات المعتمدة في السقي بجماعة أولاد سبيطة

استطاع الإعداد الهيدروفلاحي الذي استفاد منه المجال المدروس أن يحدث تغيرات هامة في طرق استغلال التربة، والتي مكنت الفلاح من الوصول إلى مستويات مرتفعة من الإنتاج، غير أن نمط السقي الإنجذابي الذي ميز الجماعة ساهم في هدر كميات مهمة من المياه تزامنا مع توالي سنوات الجفاف، الشيء الذي أدى إلى تراجع الموارد المائية، وهو ما اضطر المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي لدكالة إلى تقنين استعمال مياه السقي، مما دفع الفلاحين إلى اتباع استراتيجيات متعددة لتدبير الندرة، حيث شهد المجال تطورات هامة في ما يخص التقنيات المستخدمة في استغلال الموارد المائية، إذ تبين من خلال البحث الميداني الاعتماد الكبير على استغلال المياه الباطنية عن طريق حفر الآبار التي عرفت تزايدا ملحوظا في السنوات الأخيرة رغم أن عمق المياه يتراوح ما بين 60 و80 مترا، وقد تبين أن 83,7% من المزارعين الذين شملهم البحث الميداني عملوا على حفر آبار وتجهيزها بآلات للضخ، كما تجدر الاشارة إلى أن أهمية استخدام هذه التقنية تتزايد كلما كبر حجم الحيازة الفلاحية.

كما تشهد جماعة أولاد سبيطة انتشار تقنية السقي بالتنقيط(Goutte-à-goutte) ، حيث عبر جميع الفلاحين بهاته الجماعة عن استعمال الري الموضعي؛ ويعزى انتشاره إلى الإجراءات التي قامت بها الدولة والتي عملت على تجهيز الحيازات بأدوات الري الموضعي وتقديم تسهيلات ومساعدات للفلاح لتشجيعهم على استخدام هذه التقنية، والتي تعد من أكثر التقنيات حفاظا على الموارد المائية بتركيز السقي على الجذور، وبهذا فهي تمكن من إعطاء الاحتياجات اليومية الكافية من المياه للنبات، مما يساهم في توفير المياه المعبأة، ويقلص من عملية التبخر.

مبيان رقم 2: توزيع الحيازات الفلاحية حسب عدد مرات السقي بالأسبوع بجماعة

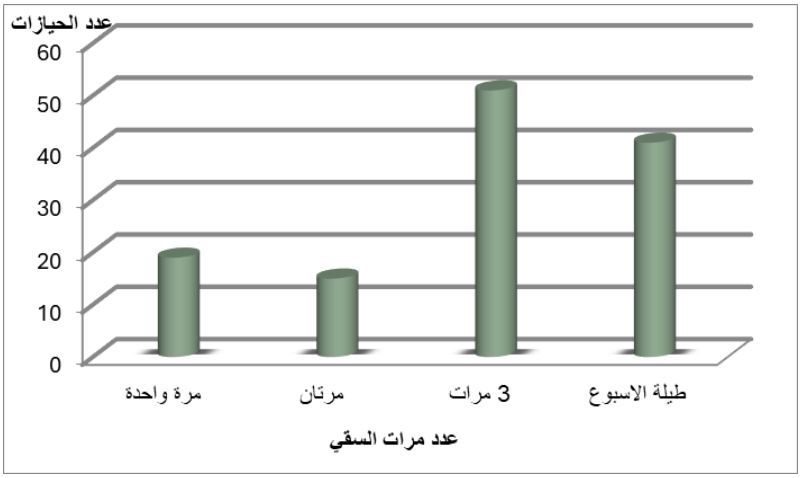

المصدر البحث الميداني (2022)

بيد أن تكثيف النشاط الفلاحي ورغبة الفلاح في توفير الكميات اللازمة من المياه للمزروعات يدفعه إلى ضخ المياه بشكل متكرر (المبيان رقم 2)، اذ صرح حوالي 31,7% من العينة المستجوبة بالإقليم أنهم يلجؤون للسقي3 مرات بالأسبوع، و20,3% يعملون على سقي مشاراتهم طوال الاسبوع، الشيء الذي سيؤثر لا محال على كمية وجودة المياه.

4.خاتمة

استفادت جماعة أولاد سبيطة من سياسة الإعداد الهيدروفلاحي، التي استطاعت خلق دينامية مهمة في الأنظمة الزراعية بالانتقال من فلاحة معيشية إلى فلاحة تسويقية الشيء الذي كان له شديد التأثير على الوضع الاجتماعي بالمجتمع الدكالي بالمنطقة وعلى تحسين المستوى المعيشي للفلاحين.

إلا أن توالي سنوات الجفاف، وما رافقها من تراجع للموارد المائية أثرت بشكل كبير على المدارات السقوية ببلادنا بما فيها نطاق الدراسة، حيث اضطرت الدولة إلى ايقاف امداداتها المائية صوب المجال مما أثر على القطاع الفلاحي بشقيه، وبأنظمته الزراعية، فبعد التنوع في المزروعات وغزارة الانتاج الذي ساد خلال الفترات الرطبة، عاد المستغلون إلى ضيق افق التنويع في المحاصيل وتقلصت مساحة العديد منها، ليقتصروا في النهاية على ما يمكنهم من الحفاظ على رأسمالهم من المواشي التي باتت تشكل مصدر دخلهم الوحيد، والحديث هنا على مكون الاعلاف، وفي مقدمتها الفصة والبرسيم، معتمدين في سقيها على مياه الفرشة الباطنية التي تعرف تراجعا مقلقا في مستوياتها وارتفاع نسبة الملوحة بها.

وبالتالي يمكن أن نقدم الخلاصات الآتية:

الخلاصة الأولى: تعد التغايرية المطرية والنزوع نحو الجفاف من الخصائص المميزة لمناخ المغرب بصفة عامة ومجال الدراسة بصفة خاصة، إذ تم التوصل إلى أن جماعة اولاد سبيطة تعاني من التغير والتذبذب المطري، ومن توالي سنوات الجفاف التي ازدادت حدتها خلال العقود الأخيرة، مما انعكس بشكل كبير على الموارد المائية التي تراجعت بشكل الكبير والتي أثرت بدورها طبيعة الإنتاج الزراعي، **وعليه تتحقق الفرضية الأولى**.

الخلاصة الثانية: لقد أثر توالي سنوات الجفاف على اختيارات الفلاحين الزراعية، حيث أكد اغلب الفلاحين اختيارهم لزراعة الحبوب والاعلاف، مع الاعتماد على السقي عبر حفر الآبار، واستغلال الفرشة الباطنية لمواجهة شبح الجفاف وندرة المياه السطحية، وعليه **تتحقق الفرضية الثانية.**

المراجع

- الحاضري خالد. (2014). تحول السكن الريفي بدكالة، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة شعيب الدكالي الجديدة.
- الخياطي إسماعيل. (2016). مياه ام الربيع و تأهيل السهل الداخلي لدكالة، مقال ورد في الجزء الاول من اعمال الملتقى 19 للجيومرفلوجيين المغاربة ، سلسلة ندوات و مناظرات. ص: 207 .
- الدكاري عبد الرحمان . (1998). سياسة الإعداد الهيدروفلاحي بدكالة وأهم انعكاساتها، الدائرتان السقويتان الزمامرة والغربية نموذجا «رسالة دبلوم الدراسات العليا تحت إشراف الأستاذ إسماعيل العلوي ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
- باحو عبد العزيز وآخرون. (2015). التغيرات المناخية وانعكاساتها على الموارد المائية وعلى الفلاحة وتدابير التكيف معها، ورد في مجلة جغرافية المغرب العدد الخاص بأعمال المؤتمر الثالث للجغرافيين المغاربة المحمدية17-18 يناير 2013، الجزء الثاني: التغيرات البيئية
- ريباع محمد. (2002). التحديث الفلاحي والتحولات الاجتماعية-المجالية بسهل دكالة، أطروحة لنيل الدكتوراه كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة شعيب الدكالي الجديدة
- فاتح حسن .(2000). التكثيف الفلاحي و التحولات ت السوسيومجالية والبيئية بولجة دكالة. بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب و العلوم الإنسانية الرباط
- هلال عبدالمجيد. (2010). دينامية البيئة و المجتمع بساحل الجديدة : الامكانات و الاكراهات، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب و العلوم الانسانية المحمدية، جامعة الحسي الثاني
- معطيات إحصائية من مكتب الاستثمار الفلاحي بالجديدة(2021).
- Monographie du secteur agricole dans la province de sidi bennour(2018).p7
- Zhor OULAAROSS. (2009).Côtier des Doukkala (Maroc). Apport de l'analyse statistique et de l'inversion des données géoélectriques à l'étude du biseau salé de la lagune de Sidi Moussa. Une Thèse pour l'obtention le grade de doctorant, Université Chouaib Doukkali.